

## قرية مزين التاريخ والعمران

د. / محمد أكلي كزار

أستاذ العمارة - جامعة بجاية

mohammedakli.kezzar@univ-bejaia.dz

### المخلص:

تمثل قرية مزين عينة من القرى الاثرية في منطقة بني ورتلان حيث تمتاز بحفاظها على نمط عمارتها التقليدية وبموقع يطل على مناظر طبيعية أخاذة ومتعددة مما جعلها تشد أنظار الكثير من المهتمين بالسياحية والمتخصصين في العمارة. كما أن للقرية تاريخ عريق وغني يمتد إلى القرن السابع عشر ميلادي (11 هجري) تاريخ تأسيسها من قبل أحفاد سيدي تواتي البجائي. وقد ظلت منذ ذلك الوقت أحد مراكز التعليم الديني في المنطقة.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهم المحطات التاريخية للقرية منذ نشأتها إلى الوقت الحالي كما يهدف إلى وصف هيأتها ومكوناتها العمرانية وخصائصها المعمارية والبحث يندرج في مسعى أشمل يهدف إلى فهم السيرورة التاريخية للمستوطنات البشرية في منطقة بني ورتلان، كما يهدف إلى استشراف مستقبلها.

وسنعمد لإنجاز هذه الدراسة على الوسائل المنهجية التالية: استغلال المراجع والوثائق المتعلقة بموضوع البحث، الدراسة الميدانية وما تتضمن من معالجة للمعطيات التي يمكن الحصول عليها من مخططات وصور. وبهدف فهم الجانب الوظيفي للقرية سنسعى إلى استجواب سكانها السابقين.

**الكلمات المفتاحية:** العمران والعمارة التقليديين؛ قرية مزين؛ البنية المجالية؛ التاريخ؛ بني ورتلان.

### Résumé:

Le village de Mzeyen représente un échantillon particulier parmi les villages traditionnels de la région de Beni Ourtilane. Il se distingue par la préservation relative de son architecture traditionnelle et par une situation surplombant de nombreux paysages à couper le souffle. Ceci fait attirer l'attention de nombreux spécialistes du tourisme et de l'architecture. Le village a également une histoire riche et longue qui remonte au XVIIe siècle après JC (11 AH), lorsqu'il fut fondé par les petits-fils de Sidi Touati Elbidjai. Depuis lors, il est resté l'un des centres d'enseignement religieux de la région.

Cette recherche vise à identifier les moments historiques les plus importantes du village depuis sa création jusqu'à nos jours. Elle vise également à décrire sa structure spatiale, ses composantes urbaines et ses caractéristiques architecturales. La recherche s'inscrit dans une démarche plus globale visant à comprendre le processus historique de établissements humains dans la région de Beni Ourtilane, et vise également à anticiper son avenir.

Pour réaliser cette étude, nous adopterons les moyens méthodologiques suivants : l'exploitation des références et des documents liés au sujet de recherche, l'étude de terrain et le traitement des données collectés et afin de comprendre l'aspect fonctionnel du village, nous tentons d'interroger ses anciens habitants.

1- المقدمة: نحاول في هذه المقالة بعد الإحاطة بجملة من المعارف الأولية التاريخية، المعمارية والعمرانية المتعلقة بقرية مزين الوقوف على مكامن الإشكاليات المتعلقة بنسقه المجالي الاجتماعي. وتحديدًا سنتطرق في هذا العمل إلى الخصائص الطبيعية والجمالية لموقع القرية. ثم إلى أهم المحطات من تاريخها مع محاولة ربطها بتطورها المعماري. وسنتطرق إلى بنيتها المجالية مع محاولة تحديد مراحل تشكلها وتوسعا وكذا سنخرج على المساعي الهادفة إلى الحفاظ على تراثها المعماري التقليدي وبعدها إلى المبادرات التنموية الهادفة إلى تحسين أوضاع سكانها. ونختم المقال بخلاصة نمزج فيها بين تبيان الإشكاليات المعرفية والإشكاليات التنموية التي تطرحها القرية على الباحثين وسكانها والمسؤولين المحليين مع المقترحات التي من شأنها أن تُسهم في تحقيق خطوات ملموسة في الجانبين المعرفي والتنموي تجاه القرية.

2- الدراسات السابقة: تناولت قرية مزين خصوصا ومنطقة بني ورتلان عموما العديد من الاعمال التي تمكنا من جمعها بهدف الاطلاع عليها وبناء بحثنا عليها. وقد تعددت تخصصات من أنجزوا تلك الدراسات فمنهم المتخصص في علم الاثار، ومنهم المتخصص في التاريخ ومنهم المتخصص في العمران. فيما يلي نذكر أهم الاعمال التي وقفنا عليها وبنينا عليها بحثنا حسب أهميتها وقربها من موضوع دراستنا:

- مذكرة الماجستير لونغوي صونيا (2012) في تخصص الآثار الريفية والصحراوية وهي بعنوان « قرية مزين دراسة أثرية معمارية. وقد تناولت قرية مزين التقليدية بالوصف الاثري والمعمارية مع ذكر بعض المحطات التاريخية المتعلقة بنشأة القرية وتاريخها. وتناولت بشيء من التفصيل لكل من المرافق العمومية كالمسجد وبيت ضيوف الرحمن والزاوية والمدرسة كما قامت بالرفع والوصف المعماري لثلاث منازل تقليدية. وتطرقت إلى تقنيات ومواد البناء المستعملة في إنجاز المنازل التقليدية. المذكرة مساهمة هامة في طريق المعرفة العلمية للقرية وهي من بين أبرز الدراسات الاثرية المعمارية المتعلقة بالقرى التقليدية في منطقة بني ورتلان، غير أنها اتسمت بافتقارها للنظرة الكلية للقرية من حيث كونها نسق عمراني نشئ وتطور ضمن مجال ريفي جبلي بخصائص ومميزات طبيعية وثقافية واقتصادية فريدة.

- كتاب عبد الرزاق ججيق<sup>1</sup> (2021)، وهو بعنوان التراث الثقافي لمنطقة بني ورتلان معالم وأعلام (الفترة الإسلامية). حيث نالت قرية مزين فيه الحض الاوفر بالوصف لكل من عمرانها وتاريخها وعلمائها وبعض الجوانب من عاداتهم وثقافتهم. وقد تناول بالذكر لكل من مصادر المياه فيها وأسماء

1- الكاتب ولد في قرية مزين وعاش فيها جزءا من طفولته وقد ألم بالكثير من حيثيات الحياة اليومية لسكانها.

الحقول التي استصلحها سكانها من الجانب الشمالي لجبل أزرو<sup>1</sup>. الكتاب تميز بوفرة الوثائق الأولية. وهي تستدعي إعادة الاستغلال حسب تخصصات البحث المختلفة.

- مقال كل من محمد الطيب عقاب، خديجة نشار، عائشة حنفي (2015) بعنوان: تحريات أثرية بمنطقة بني ورتلان ولاية سطيف. المقال نشر بمجلة أثار وتناول نتائج التحريات التي تمت بالمنطقة وانصبت على وصف مكونات وعناصر البيت القبائلي<sup>2</sup> وكذا مسجد قرية شلحاب ومسجد قرية الشرفة أفلا.

- مشروع البحث المشترك بين مخبر العمارة المتوسطية (Laboratoire de l'Architecture Méditerranéenne) بجامعة سطيف تحت إشراف الأستاذ زغلاش حمزة وفريق بحث من جامعة كيب تاون من جنوب أفريقيا تحت إشراف الأستاذ هينز رويذر Heinz Ruther الذي أنجز خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 2011 و2013 وقد أسفر على عدة مخرجات أهمها الرفع المعماري لقرية مزين باستخدام التكنولوجيات الحديثة المتمثلة في نظم المعلومات الجغرافية SIG والرفع المعماري للمباني الحجرية باستخدام أشعة الليزر. وقد تم نشر بعض مخرجات هذه الدراسة على أحد صفحات<sup>3</sup> موقع زماني بروجكت<sup>4</sup> (zamani project) تتمثل في العديد من الصور العالية الجودة ومخططات ومقاطع معمارية لحارتين بالإضافة لفيديوهات ونماذج ثلاثية الأبعاد لهاتين الحارتين.

- مذكرة ماجستير للعيدي طويل (2011) في تخصص الآثار الريفية والصحراوية بعنوان: الزوايا الريفية بمنطقة سطيف دراسة أثرية أنموذجية، حيث تناول خمسة زوايا قديمة في منطقة بني ورتلان إحداها زاوية قرية مزين.

- مذكرة ماجستير من إعدادنا (كزار، 2008)، وهي في تخصص العمران وبعنوان: التحولات المجالية في القرى القبائلية الجبلية، حالة قرى ومدائر منطقة بني ورتلان بأقصى شمال غرب ولاية سطيف. تناولنا فيها مظاهر التحولات المجالية في القرى القبائلية ومن أهم ما تطرقنا إليه نجد الأنماط الثلاث للتحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية والمتمثلة في: 1- الهجرة الكلية للقرية من طرف للسكان وضمورها واندثارها، 2- التوسع المتوسط الوتيرة للقرية مع حفاظها على سكانها وجزء أو كل نسيجها العمراني التقليدي، 3- التوسع السريع واندماج مجموعة من القرى لتشكل تجمع سكاني كبير وهو حال كل من

---

1- للعلم فإن المؤلف عمل في مجال حفظ الآثار بالمنطقة لمدة 26 سنة (ما بين 1987 و2015) وقبلها عمل في ذات المجال ضمن مصالح الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية مدة سنتين (ما بين 1987 و1989). وفي نظرنا يمكن اعتباره "حامي الآثار الأول في منطقة بني ورتلان".

2 قرية من بين القرى التي شملتها التحريات وجزء هام من الصور المستخدمة في المقال التقطت فيها.

3- رابط الصفحة الخاص بقرية مزين هو كالتالي: [zamaniproject.org/site-algeria-mzien-lemzyen.html](http://zamaniproject.org/site-algeria-mzien-lemzyen.html)

4- رابط موقع زماني بروجكت (zamani project) هو كالتالي: [Home\(zamaniproject.org\)](http://Home(zamaniproject.org)) وحسب الموقع يتولى مشروع زماني جمع البيانات وتحليلها، والتواصل بشأن التراث، فضلاً عن تدريب وبناء قدرات الخبراء والجمهور حتى يتمكنوا من الوصول إلى بيانات مكانية عالية الجودة عن التراث، ويمكنهم من التعلم من التراث وحفظه وحمايته.

تألفت مركز بلدية بني شبانة، الجمعة مركز بلدية بني ورتلان وبني براهيم مركز بلدية عين لقراج. وتناولنا كذلك في المذكرة مراحل التوسع العمراني في أحد قرى المنطقة (قرية منادس). كما تناولنا مراحل تطور النمط المعماري للمسكن في المنطقة من حالته التقليدية إلى الحالة الحديثة مبرزين ذلك من خلال أربعة مساكن مملوكة لأحد العوائل في قرية منادس. ودراستنا لقرية مزين تشترك مع هذه الدراسة بكونها تهتم بمحاولة تتبع أهم مراحل ومظاهر تطورها العمراني. كما أنها تشترك معها في اعتبارها للمجال القرى كنسق متكامل تتكون بنيته المجالية إجمالاً من الإطار المبني، شبكة الطرقات، الأراضي الزراعية، مصادر المياه، الغابات والأراضي البور.

- أطروحة الدكتوراه من إعدادنا (كزار، 2020) في تخصص العمران بعنوان: من أجل تنمية مستدامة للمستوطنات البشرية في المناطق الجبلية حالة منطقة بني ورتلان. وهي دراسة شملت في جانبها الميداني معظم المبادرات والسياسات التنموية التي حظيت بها قرى المنطقة مع محاولة تقييم مدى استدامتها. وحاولت الدراسة تحليل دور المصالح العمومية التقنية المشرفة على تلك المبادرات من حيث مساهمتها الإيجابية أو السلبية. وترتبط هذه الدراسة مع موضوعنا في قرية مزين بكون هذا الأخير يسعى إلى توضيح وتبيان المبادرات التنموية الموجهة لفك العزلة عليها وتحسين ظروف معيشة سكانها واستغلال مقدراتها.

- بالإضافة إلى ما سبق جمعنا العديد من المؤلفات والمقالات ذات الصلة المباشرة بالقرية والمنطقة ككل. وسيأتي ذكرها خلال البحث عند اقتضاء الحاجة.

### 3- منهجية الدراسة: تتلخص المنهجية المتبعة في إعداد بحثنا فيما يلي:

البحث الوثائقي حيث سعينا من خلاله إلى جمع المراجع والمعلومات التي من شأنها أن تساعدنا على فهم جوانب الموضوع مع السعي إلى نقدها بشكل منهجي بحيث نحاول معرفة مكامن قوتها (صحتها) ومكامن ضعفها (زيفها). وشمل البحث الوثائق الورقية المطبوعة والرقمية (المقالات والفيديوهات ومواقع التواصل الاجتماعي).

البحث الميداني وخلالنا سعينا إلى جمع المعطيات من ميدان الدراسة قرية مزين ومن سكانها حيث قمنا بزيارتين ميدانيتين أولها بشكل منفرد والثانية برفقة السيد ججيق عبد الرزاق ابن القرية ومؤلف كتاب "التراث الثقافي لمنطقة بني ورتلان معالم وأعلام". وقد تزودنا خلال الزيارتين بالكثير من المعطيات والملاحظات حول القرية وطريقة تملك واستغلال فضاءاتها المختلفة حيث قدمت إلينا شروحات مستفيضة حولها من قبل دليلنا السيد ججيق. الدراسة الميدانية شملت كذلك مقابلات المفتوحة مع ثلاثة أفراد تربطهم علاقة وثيقة بالقرية وهم على التوالي السيد ججيق جمال، ججيق عبد الرزاق، وججيق زروق حيث أن كل منهم يعود أصله إلى القرية يهتم بها وبمآلها. تتمثل مخرجات المرحلة الميدانية من البحث في جملة المعلومات التي تم تسجيلها أثناء أو بعد المقابلات المفتوحة وجملة من الصور التي تم التقاطها لجوانب كثيرة من للقرية وما حولها.

استغلال ما يتوفر عليه تطبيق قوقل إرث برو Google earth pro من معطيات جغرافية وإمكانات لقياس المسافات والارتفاعات ورسم المقاطع الطبوغرافية والعودة إلى صور فضائية سابقة.

#### 4- خصائص وأهمية موقع قرية مزين:

تعد قرية مزين من بين القرى القديمة في منطقة بني ورتلان الواقعة في أقصى الشمال الغربي من ولاية سطيف أو في الجنوب الشرقي لمنطقة القبائل الصغرى. وهي مستوطنة بشرية ريفية صغيرة نسبياً<sup>1</sup> تحتل موقعا جبليا مميزا واستثنائيا قريب من قمة جبل أزرو، انظر الوثيقة رقم 01 والوثيقة رقم 02. القرية تقع على الجانب الشمالي من جبل أزرو، ويبلغ متوسط ارتفاعها على مستوى سطح البحر<sup>2</sup> 860م. من الناحية المورفولوجية الموقع يتميز بحدّة الانحدار ويتميز بالتعرج وكثرة الالتواءات وهو ما يجعل الزائر لها في الوهلة الأولى يشعر بالدهشة الممزوجة بالخوف من الأماكن المرتفعة. ويتميز الموقع بانفتاحه على مناظر أخاذة، فهو يطل على جزء مميز من حوض وادي بوسلام ويطل كذلك من بعض الأماكن على منظر لسلسلة جبال جرجرة، ومن هذا الموقع يمكن كذلك مشاهدة منظر عام لجبل أقوف القريب وما حوله. وتتميز التضاريس المشكّلة لهذه المناظر بتنوع الألوان وتعدد مميزات سطوحها، حيث نجد منها ما هو غطاء نباتي غابي ومنها ما هو مساحات زراعية مُشجرة ومنها غير المشجرة، انظر الوثائق رقم 3، 4، 5 و6، ولعل ما يضيفي عليها لمسة بديعة هو مرور وادي بوسلام من خلالها حيث يُشاهد من مزين وكأنه عقد براق يتبدل لونه من الأزرق إلى الفضي والرمادي حسب حالة الطقس.

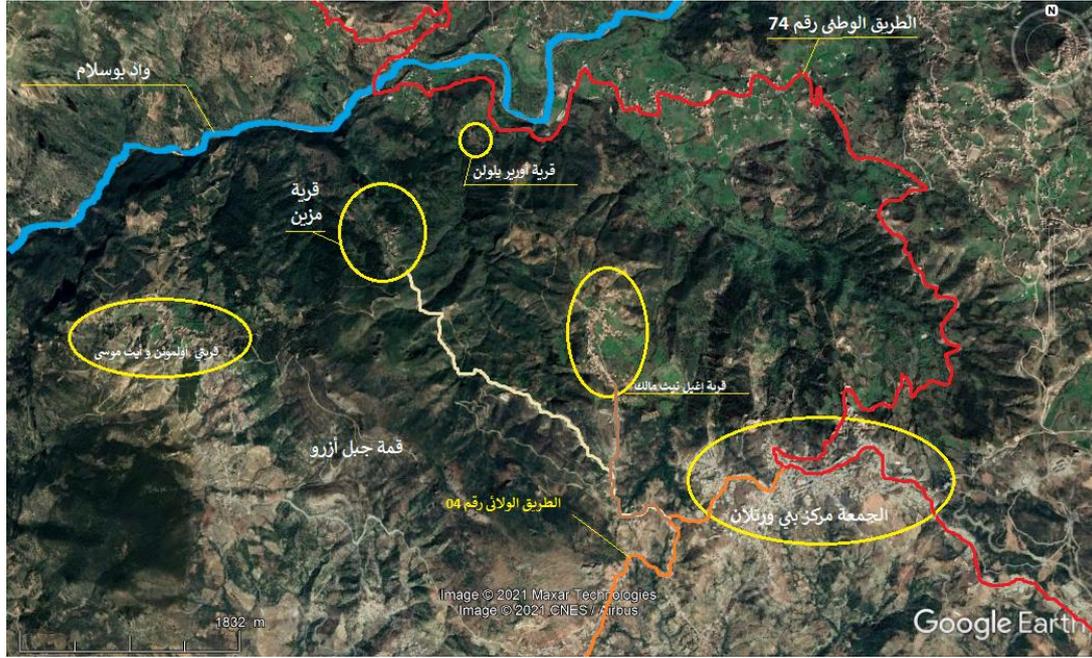


الوثيقة رقم (01): صورة فتوغرافية عامة لقرية مزين ومحيطها الطبيعي.

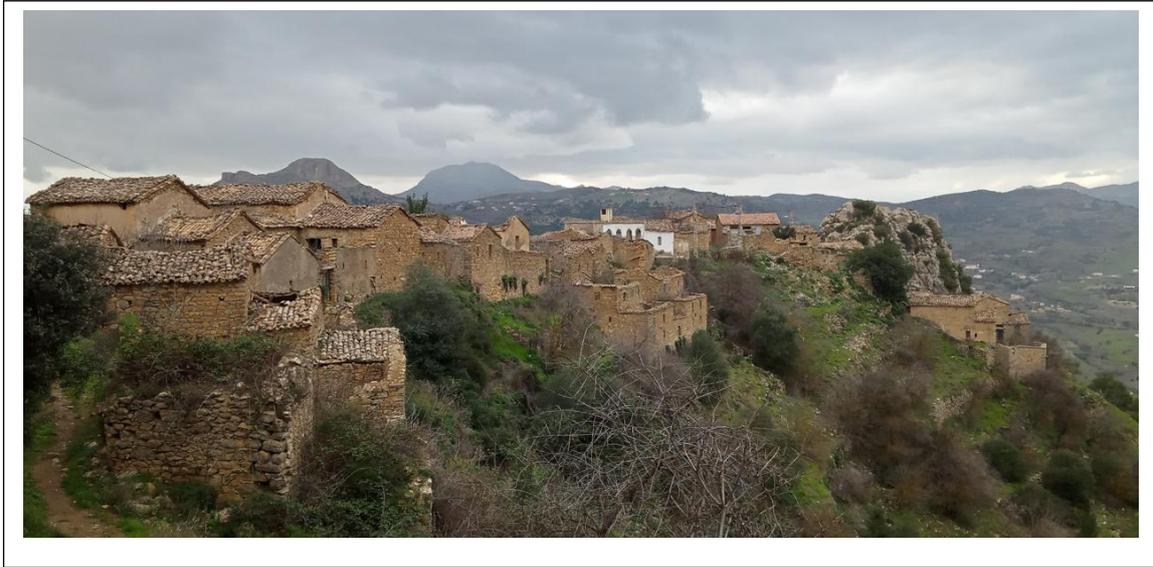
المصدر: [Site - Lemzyen \(zamaniproject.org\)](http://zamaniproject.org)

1- إحداثيات مركز القرية المحصل عليه من تطبيق قوقل إرث هي كالتالي: N°40.33'27°36 (بالنسبة لخطوط العرض) وE°54.08'48°4 (بالنسبة لخطوط الطول).

2- المتوسط تم حسابه بقسمة ارتفاع أدنى نقطة من عمران القرية (802م) وأعلى نقطة منه (916م) على العدد 2.



الوثيقة رقم (02): صورة فضائية لجزء من الجانب الشمالي الشرقي لإقليم بلدية بني ورتلان توضح موقع قرية مزين من القرى والتجمعات العمرانية القريبة منها، المصدر قوقل إرث، 2021 + معالجة الباحث



الوثيقة رقم (03): صورة لقرية مزين وجانب من المناظر الطبيعية المحيطة بها. المصدر: الباحث بتاريخ 26 /12/ 2021.

وتقع القرية على مقربة عدة قرى هي إغيل ناث ملك من الجهة الشرقية الشمالية (4.3 كم)، وكل من أيت موسى (2.3 كم) وألموثن (2.4 كم) من الجهة الغربية. كما أنها تطل من جهتها الشمالية الشرقية على قرية مهجورة حاليا تسمى أورير يولون. وتبعد القرية عن مركز بلدية ودائرة بني ورتلان المسمى الجمعة بمسافة 5.85 كم ويربط بينهما طريق بلدي مهياة ولكنها غير معبدة بشكل كلي إلى حد الساعة. ولعل هذا ما جعلها لاتزال معزولة نسبيا بالمقارنة مع غيرها من القرى. انظر الوثيقة رقم 02.



الوثيقة رقم (04): جانب من المناظر الطبيعية التي تطل عليها قرية مزين من الجهة المقابلة من وادي بسلام والتابعة لكل من بلدية بني موحلي وبلدية بني معوش (ولاية بجاية)، المصدر: الباحث بتاريخ 26/12/2021.

#### 5- أهم المحطات التاريخية الموثقة من تاريخ قرية مزين:

"يلعب التاريخ دوراً أساسياً ومهماً في الفكر الإنساني، وذلك لأنه يستدعي مفاهيم القوة البشرية، والتغيير والظروف المادية التي تؤثر على الشؤون الإنسانية، والمعنى المفترض للأحداث التاريخية، بالإضافة إلى أنه يثير إمكانية التعلم من التاريخ، ويقترح إمكانية فهم طبيعة البشر بشكل أفضل في الوقت الحاضر من خلال فهم القوى والاختيارات التي أوصلت الإنسان لهذا الحاضر"<sup>1</sup> (Little, 2007) وعليه فإن اهتمامنا بتاريخ قرية مزين ينبع من هذه الوظيفة التي قد يسديها إلينا علم التاريخ لبلوغ أحد أهداف بحثنا وهو فهم الحاضر من خلال المعطيات التاريخية المتوفرة .

بشكل عام منطقة بني ورتلان عرفت استقرار الانسان منذ ما فترة ما قبل التاريخ وتطور الاستيطان البشري فيها خلال الفترة القديمة، قبل وبعد الوجود الرماني والبيزنطي واستمر هذا الاستيطان خلال فترات القرون الوسطى وبعدها العهد العثماني ثم الاحتلال الفرنسي إلى غاية ما بعد الاستقلال. ولاتزال العديد من المعالم التاريخية الشاهدة على تعاقب تلك الحضارات قائمة في المنطقة وهو ما حاولنا إبرازه في مقال<sup>2</sup> بعنوان "التراث المعماري بمنطقة بني ورتلان بين المقومات المعتمدة وضعف الاستغلال" (كزار، 2021).

فيما يخص قرية مزين تحديداً يُحتمل أن يعود أول استقرار للإنسان فيها إلى الفترة القديمة Antique ، حيث وثق ججيق (2021، ص. 110) حقيقة عثوره على بقايا أثرية متناثرة من قطع فخارية وقرميد فوق الأرض في المكان المسمى ثِمَسَى وثُخْرِبِثُ<sup>3</sup>.

1- <https://plato.stanford.edu/entries/history/> consulté le 16/01/2022.

2- هو منشور في مجلة التراث الاثري وهو متوفر على الرابط التالي:  
<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/402/10/1/186820>

3- يتطلب التأكد من تاريخ هذه الآثار إجراء حفريات وبحث متخصص.

وبالنسبة لأصل سكان القرية فإن الحسين الورثيلاني ذكر في رحلته ما يلي " وأما الشيخ سيدي تواتي فهو من القرن التاسع أيضا ولي صالح كبير الشأن عالم على الاطلاق وله مؤلفات كما كنا نسمع وهو عند أهل بجاية من أهل التصريف وقد سمعنا أن فتواه لا ترد إلى توزر<sup>1</sup> وهو معاصر للشيخ يحيى العدلي، وله زاوية وطلبة إلى حد الآن وخدام في الجبل نفعا الله به آمين"، (الورثيلاني، ص. 27). يواصل ججيق (2021، ص. 149) ما نقل عن أصل سكان قرية مزين من الرحلة الورتلانية " ومنهم الولي الصالح والقمر الواضح، له بركات باهرة وأحوال ظاهرة وأسرار مشتهرة، سيدي الصادق، ضريحه في الوادي معلوم، يزار وهو من القرن العاشر، أعني أواخره ولا أدري هل بلغ الحادي عشر أم لا، وأولاده رضي الله عنهم بدورهم أهلة وأعلام أجلاء، كالفاضل الولي الصالح الولي والفقير العلي سيدي يحيى بن الموهوب، ومثله في الفضل سيدي محمد الموهوب وسيدي تواتي والفقير سيدي يحيى بن الوائق، وهو في غاية الفقه تلميذ جدنا" (الورثيلاني، ص. 58).

وحسب فهم ججيق (2021) للورثيلاني وما تواتر من الاخبار فإن من أسس قرية مزين التقليدية وزاويتها هم أحفاد سيدي الصادق البجاوي<sup>2</sup> حفيد سيدي تواتي البجائي. ومن بينهم سيدي تواتي وأخوه سيدي محمد الموهوب، وقد قدما من قرية لعزيب الواقعة من الجانب المقابل لجبل أزرو من واد بوسلام وكان ذلك في القرن 11 هجري الموافق للقرن السابع عشر (حوالي 1660م). وهذا يعني أن القرية تأسست خلال فترة الحكم العثماني للجزائر. وكما هو معلوم القرية تبدأ في التشكل انطلاقا من استقرار عائلة واحدة أو مجموعة صغيرة من العوائل في مكان مختار بعناية ولعدة اعتبارات. ونرجح أن يكون الاعتبار الأكثر أهمية في حالة قرية مزين هو الاعتبار الأمني كون سكانها الاوائل جاؤوا من قرية لعزيب سيدي صادق الواقعة في موقع منخفض وأقل تحصينا بالقرب من واد بوسلام. ولا شك أنه بعد أو بالتوازي مع بناء المنازل الأولى تم بناء المسجد لما له من شأن وأهمية في الحياة اليومية للسكان. وبعد مرحلة الاستقرار الأولى تأتي مراحل التوسع المتتالية ونظرا لافتقارنا للوثائق التي من شأنها أن تعيننا على تتبع تلك المراحل فإننا سنحاول استنتاجها لاحقا من تحليل أنماط المساكن ومواقعها ضمن الإطار المبني للقرية.

1- أي إلى تونس (ججيق، 2021، ص. 149)

2- وهو بدوره حفيد سيدي محمد تواتي البجائي المعروف وهو مرابط من سكان بجاية الذين اتصل به ببيري رايس وخاله كمال رايس حوالي 901 هجري (1495م) وكان عمره آن ذاك 120 عام. وهذا حسب الأستاذ جميل عيساني الذي أوضح جوانب أخرى من حياته في الفيديو المتوفر على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=-> wfBkcALfnU، تاريخ المشاهدة 2022/01/24.

ثلث مرحلة الحكم التركي للجزائر مرحلة الاحتلال الفرنسي<sup>1</sup> وهي مختلفة جذريا نظرا لما عرفت به من حروب ومقاومة وثورات وبحكم موقعها الجبلي المحصن فقد شاركت منطقة بني ورتلان في كل من ثورة المقراني سنة 1871م وثورة التحرير، ويمكن اعتبار مرحلة الاحتلال الفرنسي بالنسبة لقرية مزين وغيرها من قرى المنطقة بمرحلة الويلات والخراب بامتياز نظرا لما سيأتي تفصيله.

نذكر نقلا عن باجوجو محمد أوسليمان (2020، ص.47) ما شهدته المنطقة وباقي ربوع الجزائر خلال السنوات 1865، 1866، 1967، 1868 من نكبات طبيعية تمثلت في شح الامطار، نتج عنه جفاف حاد حيث جفت بسببه كل منابع قرى منطقة بني ورتلان وبني يعلى وأيث عيدل باستثناء منبع مائي ببني يعلى وآخر في أيث حالة حيث وزعت مياههما على القرى المجاورة. ويضيف بجوجو أن هذا الجفاف تزامن مع غزو الجراد للبلاد فأنت على الأخضر واليابس وهو ما تسبب في مجاعة استمرت لأربعة أعوام تلاها انتشار وباء الكوليرا الذي انتقلت عدواه من تونس<sup>2</sup>، وتسبب كل من المجاعة والوباء في وفاة عشرات الآلاف من السكان المنطقة وغيرها.

وخلال حرب التحرير وتحديدًا يوم 29 ماي 1956م، إثر نصب جيش التحرير لكمين للقوات الفرنسية في الجسر الذي يربط بين بين ضفتي وادي بوسلام حيث بدأت المعركة<sup>3</sup> بمرور تلك القوات وتوسعت بعدها بعد أن طلبت هذه الأخيرة المساعدة إلى ما حولها فشملت كل من قرية بوبيرك التي دمرت عن آخرها<sup>4</sup> وقرية مزين التي طالها قصف الطائرات ودمرت كذلك جميع<sup>5</sup> منازلها<sup>6</sup> وقتل فيها 9 مدنيين رميا بالرصاص (بجوجو، 2020، ص.115).

---

1- دخول الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة كان خلال السنوات الأولى الثلاث من العشرية الرابعة للقرن التاسع عشر هجري وهو ما تم توثيقه في كتاب "الاستكشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840، 1841 و 1842" Exploration «scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842» حيث ذكر مؤلف الكتاب أ. كارات (Carette, 1848, p-p 380-382) الذي شارك في الحملة الاستكشافية قبيلة بني ورتلان وبعض قرانا و من بينها قرية القاع وزرو القريبة من قرية مزين ولعل عدم ذكر قرية مزين من بين قرى المنطقة يعود إلى كونها معزولة فلم تشملها الحملة الاستكشافية.

2- يذكر بجوجو أنه استند بخصوص مصدر الوباء إلى الكاتب الفرنسي لويس رين Louis Rinn مؤلف كتاب: تاريخ انتفاضة سنة 1871 في الجزائر «Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie»

3- على الرابط التالي يمكن مشاهدة فيديو يوثق بعض جوانب المعركة من وجهة نظر فرنسا طبعا:

<https://www.facebook.com/103785021382887/videos/134935398718585/>

4- ولا تزال قرية بوبيرك أطلال حيث لم يتم إعادة إعمارها بعد الاستقلال.

5- بالأحرى معظم منازلها.

6- عكس قرية بوبيرك بعد الاستقلال عاد معظم سكان قرية مزين إلى القرية وبادروا بإعادة إعمار معظم مساكنها ولا تزال بعض المساكن المهدامة شاهدة على تلك الواقعة.



الوثيقة رقم 05: صورة توضح حرق وقصف مزين أثناء معركة 29 ماي 1956م.

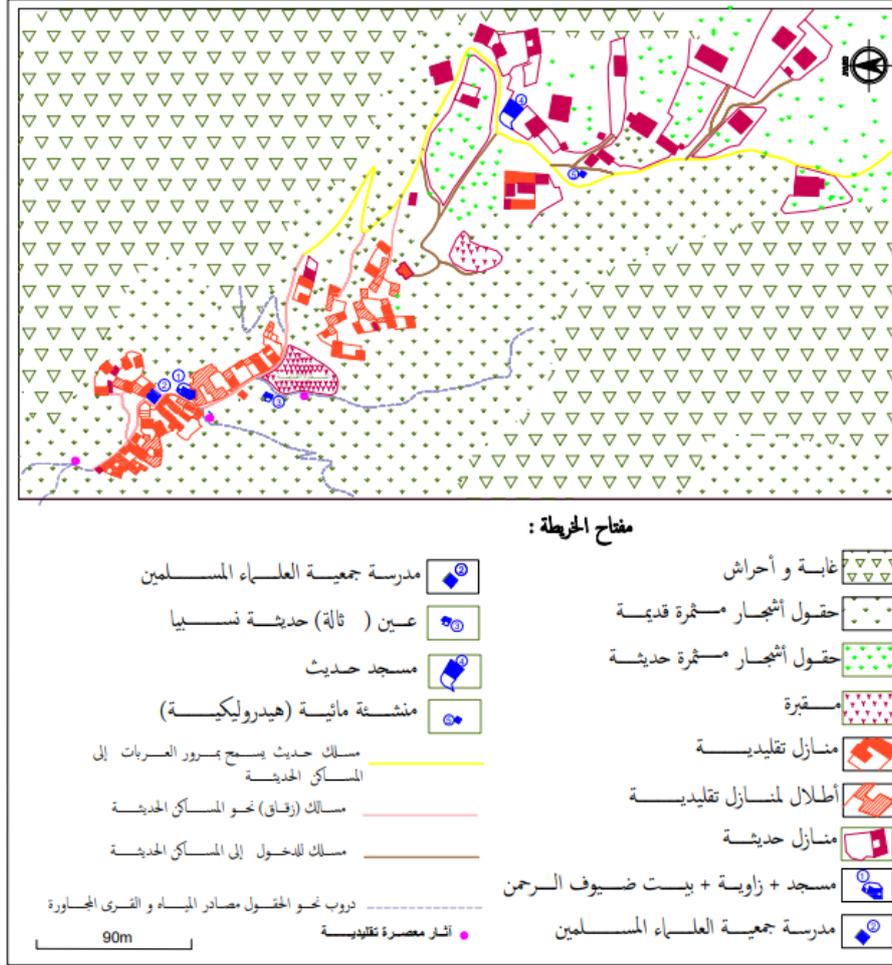
ومن الاحداث البارزة في تاريخ القرية نجد زلزال بني ورتلان الذي ضرب في 2000/11/10م بقوة 5.4 د على سلم رشتير وقد تسبب في هجرة جماعية للعديد من سكان الذين كانوا لا يزلون يقطنون في المساكن القديمة<sup>1</sup>. وقد شهد موقع القرية انهيارات صخرية مهولة زادت من خوف السكان على حيواتهم وأملاكهم.

إنّ ما سبق الإشارة إليه من محطات تاريخية لا تمثل سوى غيض من فيض وهي إشارات تدل على أن القرية مرة بمرحلة مفصلية أثرت بشكل استثنائي على سيرورتها وتاريخ قرية مزين يستدعي بحثا مستقيضا لاستقاء مختلف جوانبه المتداخلة بدون شك حيث يمكن مثلا أن نجد في البعد الثقافي ما يفسر الجانب الاجتماعي والعمراني والاقتصادي وكذا في الجوانب الأخرى ما يفسر الجانب الثقافي. وعليه يمكن القول إن ما يمكن أن يأتي البحث به مستقبلا من نتائج قد يضعنا أما حقائق يمكن أن تعيننا على فهم أحسن للسيرورة العمرانية للقرية. ونظرا لما تكتنزه القرية من مخطوطات بحكم اهتمام الكثير أبنائها بطلب العلم وتعليمه فإن البحث فيها سيكون مجالا خصبا.

1- حسب ججيق عبد الرزاق، بعد هجرة السكان التي تلت الزلزال لم يبقى فيها سوى عائلتين، تتكون كل واحدة منهما من فردين. وتجدر الإشارة إلى أن آخر من رحل من القرية القديمة هو السيد "لفول عبد" الله ويرجح أن يكون ذلك خلال شتاء سنة 2012 بعد فترة عصبية من الاحول الجوية القاسية التي توفي إثرها السيد فلفول رابح وزوجته اختتاقا بغاز البوتان.

## 6- البنية المجالية الحالية لقرية مزين:

البنية المجالية هي من أهم ما يميز أي مستوطنة بشرية سواء كانت كبيرة أم صغيرة، فهي تعطي لنا السمات الأساسية للعمارة وما حوله من حيث الشكل والمضمون ومن حيث الوظيفة. بتعبير آخر البنية المجالية تسمح لنا بفهم منسق لمختلف المكونات المجالية للمستوطنة البشرية وللحلاقات التي تربط فيما بينها. انظر الوثيقة رقم 06.



وثيقة رقم 06: خريطة توضيحية عامة للبنية المجالية لقرية مزين سنة 2022 م، المصدر: قوقل إرث + زيارات ميدانية للقرية + معالجة الباحث.

تتكون البنية المجالية لقرية مزين من الإطار المبني، شبكة الطرقات، الأراضي الزراعية المحيطة بالقرية، مصادر المياه والغابات والاحراش المحيطة بها. فيما يلي سنقدم وصفا مختصرا لمختلف العناصر المذكورة مع التركيز على وظيفتها وحالتها الحالية<sup>1</sup>.

1- مصدرنا في هذا الوصف هو ما تحصلنا عليه من معلومات ميدانية خلال زيارتين ميدانيتين لقرية مزين، تمت الأولى يوم 25 ديسمبر 2021 وتمت الثانية برفقة السيد ججيق عبد الرزاق يوم 26 ديسمبر 2021م، إضافة إلى الصور الفضائية المحصل عليها من استخدام تطبيق قوقل إرث برو Google earth pro. وكذا ما ورد في كتاب ججيق عبد الرزاق (2021) من وصف للقرية وضواحيها.

## 6-1- الإطار المبني وشبكة الطرقات:

يتكون من مجموع المنازل التقليدية ومجموع المنازل الحديثة إضافة إلى بعض المرافق العمومية القديمة والحديثة. يتربع النسيج العمراني التقليدي على مساحة قدرها 1.35 هكتار ويتكون من 24 حارة وهو في حالة متقدمة من التدهور، حيث وثقنا بالصور الفضائية والصور الفتوغرافية انهيار سقفوف وجدران العديد من المساكن (أكثر من 20 أخام) في هذا الجزء من القرية. وهذه حالة لا مناص منها، فقد تسببت فيها العديد من العوامل أهمها هجرة السكان وعوامل المناخ والزمن والزلازل وقصف الطائرات الذي أشرنا إليه سابقا. ومع حالته هذه فهو لا يزال يحافظ على مظهره العام المتناسق مع الموقع والذي يوحي بالصلابة والقدرة على المقاومة والاستمرار. معظم الحارات متكونة من زلن (إخامن جمع أخام) أو أكثر تشترك في ساحة واحدة (أفراق) وباب خارجي واحد. ويتميز هذا النسيج بكونه متراص وعدم وجود أي مسافة تفصل بين الجيران وهذه حالة معظم أجزاء هذا النسيج باستثناء القسم الجنوبي منه أين نجد بعض المنازل المنعزلة نسبيا<sup>1</sup>. هذا النسيج يمثل متحف مفتوح لمن يريد اكتشاف أو إعادة إكتشاف ثقافة السكان المحليين في مجال البناء والسكن التقليديين. انظر الوثيقة رقم (06).

يتخلل النسيج العمراني التقليدي شبكة طرق بسيطة، تتشكل أساسا من زقاق رئيس متعرج يقسم القرية إلى جانب شرقي وجانب غربي، يتفرع عنه ممرين بدون منفذ (impasses) يصلان الزقاق بثلاث حارات غير بعيدة من الجانب الشرقي. وكذلك الامر بالنسبة للجزء الأعلى من القرية التقليدية فهو متصل بالمسلك الرئيس بممرين بدون منفذ. ويتفرع عن الزقاق الرئيسي كذلك دروب تربط القرية بالحقول التي تقع في محيطها القريب والبعيد. الأول يتجه نحو الشمال الشرقي نزولا حتى المكان المسمى بوغروم بالقرب من واد بسلام والثاني يربط القرية ابتداء من المقبرة بالحقول الواقعة في الجهة الجنوبية وقبل أن تندثر معالمه كان يربط القرية بقرية أولموثن وأيث موسى التي سبق ذكرهما. غير بعيد عن الدرب الثاني يتفرع عن الزقاق الرئيس درب ثالث بالقرب من المسجد باتجاه العين القديمة<sup>2</sup> والحقول المجاورة لها وهذا نحو الناحية الجنوبية الغربية. وفي نهاية الزقاق الرئيس الذي ينتهي عند آخر مسكن من القرية شمالا يتفرع دربين أحدهما يؤدي الحقول والبساتين الواقعة غربا والآخر يؤدي إلى ما يسمى ثابورث وزرو أو باب الحجر وهو كما وصفه ججيق (2021، ص. 111) عبارة عن فج يتخلل الصخر المشكل للجبل ويؤدي بمتسلقه صعودا إلى قمة تشرف على فضاء مفتوح يطل على كل جهات المنطقة.

بالنسبة للنسيج العمراني الحديث فهو يشغل مساحة قدرها 3.3 هكتار، ويتميز بشكل جلي عن النسيج السابق من حيث الموقع ومن حيث مواد البناء وطريقة تملك المجال. يتكون من حوالي 18 منزل

1- يذكر ججيق (2021، ص. 110) أن هذا الجزء وسماه "الجزء الأعلى" أنشأ منذ حوالي 80 سنة قبل الثورة التحريرية بقليل. ومع أنه ذو سمات تقليدية إلا أننا لاحظنا إدخال بعض العناصر والمواد المستجدة مثل الخرسانة والملاط الاسمنتي على الجدران الخارجية والقرميد الحديث وغيرها.

2- تبعد هذه الأخيرة عن القرية بحوالي 400 م ولم نتتمكن من الوصول إليها بسبب اختفاء معالم الدرب المؤدي إليها.

جلها مبنية بالمواد الحديثة وذات أسقف مسطحة (أفقية)، تقع جنوب النسيج التقليدي. يتمتع هذا الجزء من القرية بإمكانية الوصول إليه بالعربات الميكانيكية، كما أن معظم هذه المنازل تم بناؤها بشكل منعزل عن بعضها البعض، حيث تم تشييدها ضمن قطع أرض مستصلحة حديثا يخصص الجزء غير المبني منها لزراعة الأشجار المثمرة كالتين، والزيتون ومعظمها تم إما تسيجها أو إحاطتها بجدران. من الناحية المعمارية هذه المباني تتميز ببساطة هندستها فهي ذات طابق أراضي أو طابقين وتفتح على الخارج (حديقة المنزل أو الطريق) من خلال نوافذ وشرفات. ولاحظنا أن جميع المساكن الحديثة تختلف جذريا في نمطها عن نمطية المسكن التقليدي المتمثل في الحارة ويُستثنى من هذا التعميم مسكن واحد<sup>1</sup> يمكن القول إنه مزيج العمارة التقليدية والعمارة الحديثة حيث نجد فيه المواد والتقنيات الحديثة نسبيا مع بعض الخصائص المعمارية التقليدية إضافة إلى جزأين منه تم إنشاؤهما كلياً بتقنيات ومواد حديثة. ولاحظنا خلال زيارتنا أن العديد من هذه المساكن لا تزال في طور الإنجاز. ولاحظنا كون العديد من المساكن المكتملة غير مسكونة<sup>2</sup>. ولعلّ ما يثير الانتباه في هذا الجزء هو عدم وجود أي محل لتموين السكان بالمواد الاستهلاكية وكذا إلى افتقاره المرافق الاجتماعية الأخرى، عدى المسجد الذي سيأتي ذكره لاحقا. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجزء من القرية قد تم ربطه سنة 2019 بشبكة الغاز الطبيعي وشبكة المياه سنة 2017م، بينما لا يزال يفتقر إلى شبكة لصرف المياه<sup>3</sup> المستعملة.

فيما يخص شبكة الطرق التي تتخلل النسيج الحديث، فهي تتشكل أساسا من مسلك متعرج وغير معبد إلى حد الساعة، يبدأ بمدخل القرية وينتهي عند بداية زقاق القرية القديمة. وتتفرع عنه عدة ممرات تربطه بالمساكن الحديثة ومساكن الجزء العلوي من القرية القديمة. وقد وقفنا عند زيارتنا الميدانية على حالة تهيئه غير المكتملة والتي قد تتدهور في حال عدم اتمامها بشكل احترافي ووفق المعايير المعمول بها.

ويتخلّل كل من النسيج العمراني التقليدي والحديث مجموعة من المرافق العمومية هي كالتالي (انظر الوثيقة رقم 06):

- **المسجد الزاوية<sup>4</sup> وبيت ضيوف الرحمن:** وهما مرفقين متجاورين حالتها الانشائية الحالية تتميز بالتدهور. وهما يختلفان من حيث مواد الإنجاز حيث تم إعادة بناء المسجد في فترة سابقة (1984) بمواد

1- بني ابتداء من سنة 1981 حسب شهادة السيد ججيق جمال.

2- زيارتنا كانت خلال عطلة فصل الشتاء وهي كذلك فترة جني الزيتون وهذا إن دل على شيء إنما يدل على كون معظم المباني تمثل لمالكها مساكن ثانوية تستخدم فقط خلال فترات العطل أو فترات النشاطات الفلاحية. وحسب ججيق عبد الرزاق فإن عدد العوائل التي تسكن القرية في فترات متقطعة خلال العام لا يتعدى عشرة.

3- بالنسبة للكهرباء فقد تم ربط القرية بجزيئها بشبكة توزيع الكهرباء منذ 1990م.

4- وجدنا وصفنا مطولا للمسجد في مذكرة ونوغي صونيا (2011، ص. ص. 28-33) يمكن الرجوع إليه.

وتقنيات حديثة بينما ترك بيت ضيوف على هيئته التقليدية. حاليا المسجد والزاوية غير مستعملين وكذا الحال بالنسبة لبيت السبيل.

- **المدرسة:** تم إنشاؤها وافتتاحها قبل الثورة التحريرية وأصبحت تعمل تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابتداء من سنة 1954م (ونوغي، ص.39). وتعرضت المدرسة لهدم كلي خلال معركة 29 ماي 1956م وأعيد بناؤها مباشرة بعد الاستقلال واستمر نشاطها إلى غاية 1990م وهي حاليا مشغولة كمقر لجمعية شباب قرية مزين التي أنشأت منذ أكثر من سنتين.

- **معاصر الزيتون التقليدية:** عددها ثلاث، ولم يبقى منها سوى أجزاءها الحجرية، نجد الأولى بالقرب من المقبرة القديمة والثانية على بعد حوالي 20 متر من المسجد على الدرب المؤدي إلى العين القديمة (السفلى)، أما الثالثة فهي تقع في المكان المسمى بالطرحة عند نهاية الزقاق الرئيسي للقرية. وهي حاليا من أهم الشواهد التي تدل على ازدهار صناعة زيت الزيتون في القرية إذ نادرا ما نجد قرى تتوفر على أكثر من معصرة واحدة.

- **المقبرة القديمة:** تعتبر من أهم الأماكن لدى سكان القرية فهي مثنوى آبائهم وأجدادهم وتذكرهم بأصلهم ومآلهم. تتربع على مساحة 1300م<sup>2</sup> يحدها من الشرق الزقاق الرئيسي للقرية ومن الشمال والغرب الدرب المؤدي إلى قريتي أيث موسى ولخوابي ومن الجنوب حقل من الأشجار المثمرة. وتتوسط المقبرة شجرة معمرة يقال إن عمرها يزيد عن عمر القرية ذاتها.

- **العين القديمة (السفلى):** كانت مصدر المياه الأساسي لسكان القرية، تم تهيئتها بمشاركة سكان القرية تستغل مياهها للشرب والاستعمالات المنزلية المختلفة إضافة إلى سقي بساتين الأشجار والخضراوات الواقعة بجوارها.

- **العين الجديدة (العليا):** تم تهيئها مباشرة بعد الاستقلال. تتكوّن بنيتها الظاهرة من خزان نصف مدفون مزود بحنفية وحوض مفتوح ملاصق له بشكل موازي وطولي إلى جانبها نجد حجرة. وقد تم تهيئة أرضية العين المقابلة للحوض والخزان بالخرسانة والأحجار بحيث يسهل جلب الماء وغسل الملابس بدون التعرض للوحل. حاليا العين غير مستعملة ولا يتوقّر فيها الماء.

- **جُوماعُ جمع تَجْماعُ أي أماكن اجتماع الرجال من سكان القرية:** استنادا إلى شروحات ججيق عبد الرزاق وهو أحد سكان القرية، يوجد في مزين ثلاث أماكن لتجمع وتلاقي الرجال أولها يسمى تَمَشْماشْت وهو ساحة المسجد حاليا ويجتمع فيه الرجال مساءا تجنباً للتعرض لأشعة الشمس القوية. المكان الثاني يقع في الطريق جنوب القرية يسمى "لقاع الجامع" أي أسفل المسجد وعادة يكون الاجتماع فيه في الصباح حيث يكون المكان ظليلا والجو رطبا. أما المكان الثالث فهو بيت عابري السبيل (ضيوف الرحمن) ويكون فيه الاجتماع خصوصا في فصل الشتاء.

ونجد ضمن النسيج العمراني الحديث كذلك بعض المرافق العمومية المهمة وهي كالتالي:

- مسجد الشيخ يوسف ججيق: وقد بني ما بين (2015 و 2018). يتكون من طابقين وفناء وهو مزود بمؤذنة مربعة يبلغ ارتفاعها حوالي 5 أمتار. المسجد حاليا هو المرفق العمومي الذي يجتمع فيه سكان القرية للصلاة وغيرها من الأمور الجامعة.

- المقبرة الحديثة: تم انشاؤها في عام 1981م بعد ما امتلأ المقبرة القديمة وقد تم تهيئتها وتوسيعها مؤخرا بعد أن دعت الحاجة إلى ذلك<sup>1</sup>.

- المنشأة المائية الواقعة مدخل القرية: وهي غرفة تقنية صغيرة تمثل جزء من البنية التحتية لشبكة المياه الصالحة للشرب التي زودت بها القرية مؤخرا (2019).

6-2- الأراضي الزراعية المحيطة بقرية مزين: بحكم طبيعتها الريفية تحيط بقرية مزين أراضي زراعية مملوكة في معظمها لسكانها الأصليين<sup>2</sup>. وقد كانت في السابق تمثل المصدر الأساسي لمعيشتهم ويمكن تصنيفها كما يلي:

- الأراضي الواقعة بمحاذاة المساكن التقليدية: يتم استغلالها على شكل بساتين صغيرة تزرع فيها الأشجار المثمرة المختلفة مثل الرمان، التين والزيتون وقد تزرع فيها بعض الخضروات الموسمية.

- الأراضي القريبة نسبيا من القرية الواقعة في الجهة الغربية: استغللت لزراعة الأشجار المثمرة كالزيتون واللوز وغيرها وكذا الخضروات بالنسبة للأراضي الواقعة بالقرب من ينابيع المياه مثل العين السفلى وهي حاليا في معظمها في حكم الأراضي البور.

- الأراضي الواقعة بمحاذاة المساكن الحديثة: تم استصلاحها خلال العشرينات الأخيرة وقد تم زراعة معظمها بأشجار الزيتون.

- الأراضي البعيدة الواقعة شمالا في سفح جبل أزرو والتي تمتد إلى غاية واد بسلام: معظمها مخصصة لزراعة الزيتون وهي لا تزال مستغلة إلى حد الآن حسب ججيق عبد الرزاق.

6-3- الغابات والاحراش: بحكم موقعها القريب من غابات جبل أزرو استغلها سكان قرية مزين قديما بما يلي احتياجاته الأساسية فهي تمثل قديما مصدرا مهما للحطب المستخدم كوقود لتدفئة البيوت ولتحضير الوجبات وتمثل الغابة بالنسبة للقرويين مصدرا للخشب المستعمل في بناء المساكن. كما تمثل الغابة للقرويين مكانا لرعي الأغنام التي يربونها للاستفادة من ألبانها ولحومها وجلودها وأصوافها. وقد استصلح القرويين ما يحتاجونه منها للأغراض الزراعية. وهو ما استمر عليه الحال في العشرينات الأخيرة في الجزء

1- سكان القرية المهاجرين كذلك لايزالون يدفنون موتاهم في القرية. وهذا دليل على علاقة مهمة بينهم وبين أصلهم الذي سيحتضنهم ولو بعد حين.

2- حسب ججيق عبد الرزاق الأراضي المملوكة لسكان قرية مزين تقع غرب وشمال القرية. بينما لا يملك سكان أيا من الأراضي الواقعة شرق القرية.

الجنوبي بمحاذاة المساكن الحديثة<sup>1</sup>. وحسب مرافقنا في الزيارة الميدانية السيد ججيق عبد الرزاق هذه السلوكيات لم تعد مقبولة قانونيا. فقد شرعت هيئة الغابات العاملة على المستوى المحلي بالمتابعة القضائية للسكان الذين قاموا باستصلاح أراضي الغابات مؤخرا. وقد تعرضت المساحات الغابية المحيطة بالقرية في السنوات الأخيرة إلى حرائق أتت على الأخضر واليابس هو ما جعل السكان يحذرون من الزوار والغرباء الذين يؤتون بين الحين والآخر<sup>2</sup>.

7- افتراض مراحل تشكل وتوسع الاطار المبنى لقرية مزين<sup>3</sup> : سنحاول فيما يلي اعتمادا على جملة من المعطيات والملاحظات الميدانية وضع تصور افتراضي عام لأهم مراحل تطور النسيج العمراني لقرية مزين، أنظر الوثيقة رقم 07.

7-1- **مرحلة النشأة:** بدأت كما سبق وأن أشرنا مع استقرار السكان الأوائل الذين قدموا من قرية لعزيب سيدي صادق في المكان القريب من المسجد من خلال بناء بعض المساكن والمسجد واستمر لمدة نحددها بنصف قرن من الزمن من 1660 إلى 1710م. في هذه المرحلة يفترض أن تكون مزين دشرة صغيرة لم يتجاوز عدد سكانها المئة وعشرون فردا وأربع حارات بمعدل 30 فردا لكل حارة.

7-2- **مرحلة التوسع الأولى:** نفترض أنها بدأت من 1710م إلى غاية 1910م أي استمرت لمدة قرنين من الزمن حيث انتقلت خلالها مزين من كونها دشرة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها المئة فرد إلى تجمع سكاني بحجم قرية متوسطة يبلغ عدد سكانها 600 فردا وعدد حاراتها 20 حارة (بمعدل 30 فرد لكل حارة).  
7-3- **مرحلة التوسع الثانية:** نفترض أنها تمتد من 1910م التاريخ الافتراضي لبداية إنشاء الجزء العلوي من النسيج العمراني التقليدي للقرية إلى غاية 1980 التاريخ التقريبي لبداية إنجاز التوسع الحديث. وهنا توسعت القرية بشكل بطيء نسبيا من حيث عدد المساكن، حيث تم إنجاز 4 أو 5 حارات جديدة وتناقص عدد سكانها بشكل ملفت. وقد قدر عدد سكانها استنادا للإحصاء العام للسكان والسكن لعام 1977 بـ 122 ساكن، وهو ما يعنى العودة بعدد السكان إلى تعداد المرحلة الأولى. ولعل أهم التفسيرات لذلك تتمثل أساسا في الهجرة نحو المدن وقبل ذلك تبعات حرب التحرير.

7-4- **مرحلة التوسع الثالثة:** امتدت لمدة حوالي 42 سنة، من 1980م سنة إنشاء أول مسكن حديث (بالأحرى هجين) إلى غاية عامنا هذا (2022م). وخلالها تم إنجاز إنجاز 18 منزلا جديدا في مساحة

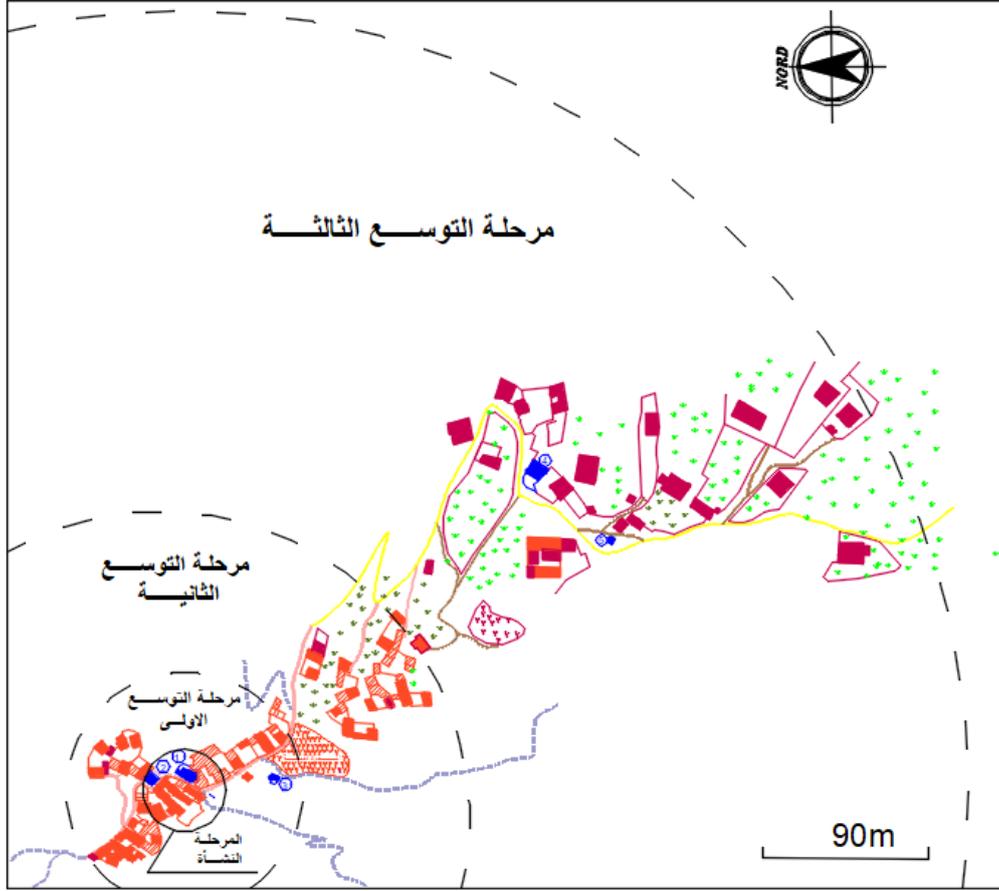
---

1- حسب مرافقنا في الزيارة الميدانية السيد ججيق عبد الرزاق هذه السلوكيات لم تعد مقبولة قانونيا. فقد شرعت هيئة الغابات العاملة على المستوى المحلي بالمتابعة القضائية للسكان الذين قاموا باستصلاح أراضي الغابات مؤخرا.

2- على حد قول الأستاذ ججيق زروق العضو في جمعية شباب قرية مزين. ويظهر فيديو معنون «Mzeyen Beni Ourtilane» من الثانية 35 إلى الثانية 58 بعض الجوانب من الحريق الذي تعرّضت له الغابات المحيطة بمزین. والتي نرجح حدوثها في صائفة 2017 إذا أخذنا في الحسبان تاريخ نشر الفيديو.

3- الهدف من افتراض هذه المراحل هو إثارة حفيظة الباحثين للتحقق من صحتها ونقدها وفق المنهج العلمي للتوصل إلى تصورات أقرب للصواب.

قدرها 3.33 هكتار وبزيادة تفوق مساحة النسيج التقليدي بمره ونصف المرة. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الاستهلاك السريع للأراضي التي كانت أصلا أراضي غابية.



الوثيقة رقم 07: خريطة توضيحية لمراحل تشكل وتوسع قرية مزين

8- المساعي والمبادرات الهادفة إلى الحفاظ على التراث المعماري لقرية مزين: نظرا للأهمية التراثية والسياحية لقرية مزين فقد عرفت مبادرات عدت للحفاظ على تراثها بشكل عام وعلى تراثها المعماري بشكل خاص. فيما يلي سنذكر بعض تلك المبادرات مع التركيز على المبادرات الجموعية والأكاديمية.

- تأسيس جمعية شباب قرية مزين: وهي جمعية تنموية ثقافية تم تأسيسها منذ حوالي ثلاث سنوات، تهدف إلى الحفاظ على تراث القرية وتذليل العقبات التنموية التي تواجه سكانها، حيث عملت منذ نشأتها على الحفاظ على القرية من خلال السهر على تأمينها من الحرائق والسهر على نظافة أزقتها من خلال تنظيم حملات لإزالة النباتات التي تعيق السير في الزقاق الرئيسي للقرية وممراتها الثانوية. كما عملت على تنظيم الزيارات السياحية إلى القرية واستقبال السياح الذين يقصدون القرية ضمن الأطر الجموعية أو

الأطر المؤسسية<sup>1</sup>. واستنادا إلى أحد أعضاء الجمعية<sup>2</sup> حاليا تعمل مع مصالح مديرية الثقافة لولاية على إعداد ملف متكامل بهدف تصنيف القرية ضمن قوائم التراث.

- **توثيق تراث قرية مزين**: حظيت قرية مزين كما سبق وأن أشرنا في الدراسات السابقة بميزة توثيق الكثير من جوانب تراثها المعماري هذا من خلال أعمال كل من ونوغي صونية (2012)، ججيق عبد الرزاق (2011، ص.ص. 110-160)، عقاب وآخرون (2015) ومشروع زمني الذي أنجز من قبل فريق مخبر العمارة المتوسطة بجامعة سطيف وبالتعاون مع فريق من جامعة كيب تاون من جنوب إفريقيا<sup>3</sup>.

- **تراث قرية مزين على الشبكة العنكبوتية**: بهدف التعريف بقرية مزين عمد بعض الصحفيين والهواة والناشطون على الشبكات الاجتماعية على توثيق بعض الجوانب من تراث القرية، حيث سمح لنا هذا البحث بالوقوف على بعض المواد التي تخدم بشكل مباشر أو غير مباشر هدف الحفاظ على تراث القرية ولعل من أهمها ما يلي:

- مقال صحفي لنجار. ن بعنوان: "جولة بين شلحاب القرية الشهيدة ومزين جوهرة القبائل"<sup>4</sup>. وقد تمّ نشر المقال في على موقع سطيف أنفو Setif.Infos بتاريخ 21 ماي 2014م.

- فيديو (سبق ذكره) بعنوان «Mzeyen beni ourtilane» مدته 14 دقيقة و 48 ثانية يوثق زيارة سياحية لقرية مزين تم تنظيمها بالتعاون مع جمعية القرية على الأرجح.

- فيديو مقدم من طرف مصور هاوي<sup>5</sup> بعنوان: «Village Mzeyene à Beni ourtilane» مدته 6 دقائق و 34 ثانية.

- فيديو بعنوان: «village de Mzeyen en Kabylie vu de ciel» تم تصويره على ما يبدو بواسطة كاميرا محمولة على طائرة مسيرة، تم نشره في 15 أبريل 2017 على موقع اليوتيوب ومدته ثلاثة دقائق و 16 ثانية<sup>6</sup>.

- صفحة قرية مزين على الفاسبوك. إضافة إلى دور التواصل الاجتماعي تلعب هذه الصفحة دورا في التعريف بالقرية وما تكتنزه من تراث.

وتجدر الإشارة إلى أن مساعي الحفاظ على تراث القرية قد تتعثر وتواجه صعوبات كما هو حال أي مسعى إيجابي، حيث يعرف حاليا نشاط جمعية شباب قرية مزين نوع من الفتور النسبي الذي يرجع

---

1- على سبيل المثال تمّ توثيق زيارة إلى القرية تمّ في 2018 في فيديو منشور على اليوتيوب وهو متوفر على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=qRiLiK3iVC8>

2- وهو الأستاذ ججيق زروق.

3- مخرجات المشروع أو بعضها تم توثيقها على الرابط التالي: [zamaniproject.org/site-algeria-mzien-lemzyen.html](http://zamaniproject.org/site-algeria-mzien-lemzyen.html)

4- المقال متوفّر على الرابط التالي: Ballade entre Chelhab le hameau martyr et Mzeyen , un joyau de la Kabylie. (setif.info)

5- هو المصور سودة فريد. وهو متوفر على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=m7Pc1UaeR-c>

6- الفيديو تم نشره من قبل ججيق نبيل وهو متوفر على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=Es2fcLpw3-E>

إلى عوامل عدة منها الخارجية متعلقة بفاعلين آخرين من خارج القرية ومنها الذاتية المتعلقة بالجمعية ذاتها و/أو بفاعلين في القرية ذاتها وهذا حالة طبيعية تمر بها معظم المنظمات الجمعوية<sup>1</sup>.

#### 9- المساعي والمبادرات التنموية الهادفة إلى تحسين أوضاع سكان قرية مزين.

إضافة إلى مساعي الحفاظ على تراث القرية نجد مساعي أخرى تهدف إلى تحسين ظروف حياة السكان وقد ذكرنا منها ربط القرية بشبكة الغاز الطبيعي وبشبكة المياه الصالحة للشرب. وينضاف إلى ذلك ربط القرية بكل من قرية أيث موسى وألموثن بمسلك جديد وبرمجة التعبيد النهائي للطريق الرابط بين القرية والطريق الولائي رقم 04.

#### 10- نتائج البحث:

سمح لنا هذا البحث بالوقوف على عدة نتائج مهمة وهنا سنكتفى بذكر أهمها. فكما سبق وأن أشرنا في المقدمة هدفنا هو كشف الغطاء ولو بشكل عام على جملة الإشكالية المعرفية التي تطرحها القرية على الباحثين والإشكاليات التنموية التي تطرحها على سكانها والمسؤولين المحليين. من الناحية المعرفية قرية مزين كانت موضوعا للبحث فقد خُصت ببحث كامل في مجال التراث والعمارة (ونوغي، 2012)، كما خُصت زاويتها بالبحث في نفس التخصص ضمن عمل أشمل حول الزوايا الريفية بولاية سطيف (العدي، 2010)، واستقطبت اهتمام فريق مخبر العمارة المتوسطة بجامعة سطيف بحيث عمل بالتعاون مع فريق بحث من جنوب فريق على المسح الرقمي لاثنتين من حاراتها. ومع ذلك السؤال يطرح نفسه: هل نعرف قرية مزين من الناحية المعمارية بما فيه الكفاية أم أن مجال البحث حولها مازال مفتوحا؟ الإجابة نعم يجب أن يبقى باب البحث مفتوحا ما دامت عدة تساؤلات لاتزال تنتظر الإجابة ولعلّ أكثرها إلحاحا ما يلي:

- موقع الآثار القديمة المتواجد بالمكان المسمى ثِميسَى الذي ذكره ججيق (2021، ص. 110) إلى أي حقبة يعود؟ ما هي الحضارة التي استقرت هناك، نوميديّة، رمانية، بيزنطية، ...؟ وهل هناك علاقة بينها وبين السكان الأوائل من أحفاد سيدي تواتي.

المخطوطات المختلفة التي يمكن العثور عليها لدى سكان القرية وفي المنطقة ككل ماذا يمكنها أن تخبرنا تطور وتوسع عمران القرية ذاتها؟ وماذا عساها أن تخبرنا عن الاستيطان البشري بالمنطقة ككل؟

ومع أهمية ما تم القيام به إلى حد الآن فيما يتعلق بالرفع المعماري لبعض منازل القرية في الدراسات الثلاث السابقة، فهو يظل جزء قليل مما بقي من مساكن وحارات. ولا شك أن استكمال هذا العمل بمخلف التقنيات المتاحة من شأنه يفتح المجال للإجابة عن أسئلة مثل: ما هي أهم الأنماط

1- تكلمنا (كزار ومسعودي، 2021) في بعض حيثيات هذا الموضوع في مقال بعنوان "الحفاظ على الحفاظ على التراث المحلي وتثمينه من خلال دور الجمعيات الثقافية والسياحية بمنطقة بني ورتلان" متوفر على الرابط التالي:  
[https://journals.ekb.eg/article\\_138147\\_b83b6b35f0bc620f31224d84e3e934be.pdf](https://journals.ekb.eg/article_138147_b83b6b35f0bc620f31224d84e3e934be.pdf)

المساكن والحارات في القرية وما هي مختلف التحويلات والمورفولوجيا التي طرأت عليها؟ وهل تم الانتقال من السكن التقليدي مباشرة إلى النمط الحديث أم تم ذلك على مراحل؟ كيف تطورت تقنيات ومواد البناء في القرية منذ نشأتها وما تأثير ذلك على عمارة المساكن والحارات والقرية ككل؟

إلى أي مدى تتشابه عمارة قرية مزين مع عمارة القرى الأخرى؟ وماذا يمكن أن نستخلصه بهذا الخصوص إذا قمنا بدراسة مقارنة (نمطية ومورفولوجيا) بينها وبين قرى أخرى؟ وي طرح الجانب التنموي إشكاليات أخرى وهي تهم السكان والفاعلين المحليين (الجمعية والسلطات المحلية..) وتستوقف كذلك الباحثين في مجال العمران. وفيما يلي سنحاول صياغتها انطلاقاً من وجهات نظر مختلفة.

الحفاظ على التراث المعماري والعمراني لقرية مزين يقتضي ترميم كلي أو جزئي لمساكن القرية، وهو ما يتطلب خطة محكمة تتضمن مجموعة من الفاعلين (السكان - الجمعيات - السلطات المحلية - المتخصصين (مكاتب دراسات) - مؤسسات إنجاز - ... إلخ)، كما تتطلب موارد مالية معتبرة. ونقطة البداية تتمثل في موافقة السكان على ما يمكن القيام به وكيف سيتم القيام به وتبعات كل ذلك عليهم. وهذا أمر في غاية التعقيد لكنه ممكن التحقيق إذا ما توفرت الخبرات والكفاءات. أما النقطة المهمة الأخرى فتتمثل في آليات استغلال وتسيير ما تم ترميمه.

مع الظروف الاقتصادية الحالية للبلاد، قد يواجه صناع القرار المحليين مهمة ترتيب الأولويات أين يجدون أنفسهم أمام التساؤل التالي: هل تستحق قرية في طريق الاندثار أن يُصرف عليها غلاف مالي معتبر مع عدم اليقين في نجاعة العملية من مختلف النواحي الاقتصادية، التقنية والاجتماعية؟ أليس من الأولى صرفها في جهات ومشاريع أكثر إلحاحاً وأسرع وأضمن من حيث النتائج التنموية والاجتماعية؟

سمح لنا تحليل البنية المجالية للقرية من الوقوف على إشكالية إيكولوجية تتلخص في التوسع السريع للنسيج العمراني الحديث على حساب الأراضي الغابية. فمن وجهة نظر السكان يعتبر ذلك استصلاحاً وإعماراً للأرض وحق طبيعي. إلا أنه من وجهة نظر قانون الغابات والمصالح المشرفة على تطبيقه يعتبر تعدي على الغابات وتقليصاً لمساحتها.

إنّ العمل على حل الإشكاليات المعرفية والتنموية السابقة من شأنه المساهمة في فهم أحسن لعمارة القرية والمنطقة ككل كما من شأنه المساهمة تطوير القرية بما يعود بالنفع العاجل والآجل على سكانها.

**11- التوصيات:** حتى تتحقق خطوات أخرى في الجانبين المعرفي والتنموي تجاه قرية مزين جوهرة جبل أزرو نقترح ما يلي:

## في مجال البحث العلمي والتعليم العالي:

- مواصلة الأبحاث التي شرعَ فيها والبناء عليها بهدف الإجابة على الأسئلة العالقة. وتعميق البحث على بناءً على نتائج الأبحاث المستقبلية.
- إحداث تعاون وتكامل بين الباحثين في كل من جامعة بجاية وجامعة سطيف وغيرهما في تصور وإنجاز الأبحاث المتعلقة بالقرية.
- إحداث تنسيق مع الفاعلين في القرية لأجل تسهيل اتخاذها ميدانا تطبيقيا لتكوين طلبة الهندسة المعمارية في تخصص التراث المعماري، ولأجل الاستفادة من الأبحاث الميدانية والتطبيقية في ترميم منازل القرية.

## في المجال التنموي:

- حتى تطلع بدورها المحوري في الحفاظ على التراث وتثمينه وفي تسهيل وتنشيط المسيرة التنموية للقرية يتعين الجمعيات العاملة فيها والجمعيات التي من الممكن تأسيسها مستقبلا في المقام الأول الاهتمام بتكوين أعضائها بشكل يسمح لها أن تكون أكثر فعالية وتأثيرا وخصوصا في مجال إدارة وتسيير المشاريع.
- فعالية الجمعيات يقتضي تخصصها في مجالات محددة وبالتالي نقترح إنشاء جمعية ثقافية متخصصة في الحفاظ على تراث القرية وجمعية للتنمية الريفية إضافة إلى الجمعية الدينية الموجودة واستحداث إطار للتشاور والتنسيق الدائمين فيما بينها.
- نظرا للمقومات التي تتميز بها قرية مزين نقترح على السلطات المحلية جعلها ضمن أولوياتها عند برمجة المشاريع الثقافية والسياحية مع السهر على بلورة المشاريع بالتنسيق مع سكانها والجمعيات التي تمثلهم.
- فيما يخص مشاريع الترميم المستقبلية نقترح البدء بترميم حارة نموذجية تكون بمثابة ورشة ومدرسة يتكون ويتدرب فيها الطلبة والحرفيين وأعضاء الجمعية الثقافية.
- الاستفادة من التجارب السابقة في مجال حفظ وتثمين القرى القبائلية مثل مشروع إعادة تهيئة قرية جبلة ببني كسيلة<sup>1</sup>.

---

1- تناولنا (كزار وأخرون، 2022) هذه التجربة في مقال منشور في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية بتاريخ 24 جانفي 2022 وهو بعنوان: «l'expérience de la réhabilitation du village Djebba : les acteurs, le processus et les enseignements tirés»  
L'expérience de La réhabilitation du village de Djebba : les acteurs, le processus et les enseignements tirés | ASJP (cerist.dz)

## 12- البيبليوغرافيا:

### المراجع باللغة العربية:

- الورتلاني، الحسين بن محمد (1974). كتاب نزهة الأنظار في علم التاريخ والاعخبار. المشهور بالرحلة الورتيلاني، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- بجوجو محند أو سليمان، (2020). تاريخ شمال سطيف من العصور القديمة إلى نهاية الثورة التحريرية، بني ورتلان، بني يعلى، أيث عيدل، بني معوش، متيجة للطباعة، الجزائر،
- ججيق، عبد الرزاق، (2021). التراث الثقافي لمنطقة بني ورتلان معالم وأعلام، الفترة الإسلامية. الجزائر: دار المجتهد.
- كزار محمد أكلي ومسعودي صفيان، (2021). الحفاظ على التراث المحلي وتثمينه من خلال دور الجمعيات الثقافية والسياحية بمنطقة بني ورتلان (الجزائر) ، مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية – عدد خاص (2)، المؤتمر الدولي السابع " التراث والسياحة والفنون بين الواقع والمأمول". لرابط: [article\\_138147\\_b83b6b35f0bc620f31224d84e3e934be.pdf](http://article_138147_b83b6b35f0bc620f31224d84e3e934be.pdf) (ekb.eg)
- طويل العيادي (2010)، الزوايا الريفية بمنطقة سطيف، دراسة أثرية نموذجية، مذكرة ماجستير في تخصص الآثار الصحراوية والريفية، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر 2.
- عقاب محمد الطيب ، نشار خديجة ، حنفي عائشة (2015) ، تحريات أثرية بمنطقة بني ورتلان ولاية سطيف. مجلة آثار عدد 01، مجلد 13. الرابط: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/44612>
- كزار، محمد أكلي. (2008) "التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية، حالة منطقة بني ورتلان في أقصى شمال غرب ولاية سطيف". رسالة ماجستير في العمران. جامعة منتوري بقسنطينة، كلية علوم الأرض والتهيئة العمرانية، قسم الهندسة المعمارية والعمران. <https://bu.umc.edu.dz/theses/architecture/AKER2374.pdf>
- كزار محمد أكلي، (2018)، التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية، دراسة حالة قرية منادس بقرية منادس بمنطقة بني ورتلان شمال غرب ولاية سطيف. مجلة العلوم والتكنولوجيا D، عدد 48؛ الرابط: <http://revue.umc.edu.dz/index.php/d/article/view/2982>
- كزار محمد أكلي (2021)، "التراث المعماري بمنطقة بني ورتلان بين المقومات المعتمدة وضعف الاستغلال" مقال في طور النشر في مجلة التراث الاثري.
- وعلي محمد الصادق، الوافي في تاريخ بجاية الثقافي، دار إمل، تيزي وزو، 2021.
- ونوغي صونيا، (2012)، قرية مزين بمنطقة بني ورتلان بسطيف، دراسة أثرية معمارية، مذكرة ماجستير في تخصص الآثار الصحراوية والريفية، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر 2.

---

## المصادر باللّغة الإنجليزية والفرنسية:

- Aissani, Djamil et Mechehed, Djamel Edine, et al. 1996. Manuscrits de Kabylie: catalogue de la collection Ulahbib. Béjaia: éd. Association GEHIMAB.
- Andreane Beloin, Sylvain Lizotte, Lignes directrices pour la prise en compte du patrimoine bâti dans le cadre de la production d'une étude d'impact sur l'environnement, Bibliothèque et archives nationales du Québec, 2017, en ligne <https://www.mcc.gouv.qc.ca/fileadmin/documents/publications/patrimoine/GuideEtudesImpact.pdf>.
- Carette, E. (1948), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, étude de la Kabylie proprement dite, Tome IV, Imprimerie Royale, Paris.
- Kezzar et al (2022). L'expérience de la réhabilitation du village Djebba : les acteurs, le processus et les leçons tirés, RAESH Journal, N 01, Volume 14. En ligne: L'expérience de La réhabilitation du village de Djebba: les acteurs, le processus et les enseignements tirés | ASJP (cerist.dz).
- LECHIS, Louis. Une excursion archéologique dans le Guergour (été 1938), in Etude d'épigraphie, d'archéologie et d'histoire africaines, Paris : Arts et métiers graphiques.
- Little, D. (2020). Philosophy of History. In E. N. Zalta (Ed.), *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Winter 2020). Metaphysics Research Lab, Stanford University. <https://plato.stanford.edu/archives/win2020/entries/history/>.
- Louis Rinn , (1891). Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Libraire Adolphe Jordon, Alger.
- Masqueray, E. Le village kabyle, comprendre une structure millénaire. Algérie : Edition Lumière Libre, 2010.